إنجيل متى ١٢: ٢٢-٣٧

التمادي

تأليف: تومي ساوث

« حينئذ أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس، فشفاه حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر. فبهت كل الجموع وقالوا: ألعل هذا هو ابن داود! أما الفريسيون، فلما سمعوا قالوا: هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين ... » (متى ١٢: ٢٢-٣٧).

في أحد الأيام، رأيت في السوق طفلة في الثالث من عمرها، وقد بلغت أقصى حد اليأس من أمها التي كانت تتغاضى عما تطلبه ابنتها. وعندما سئمت مما كانت تقوله أمها، قالت بانفعال: « أظن انك لا تهتمين بي، لن آتي معك إلى السوق في ما بعد! »

يوجد لدينا جميعاً ميول إلى الاهتياج عندما نصاب بالخيبة. فلا عجب ان الكتاب المقدس يتحدث عن اهتياج الفريسيين على يسوع لأنهم وجدوه محبط إلى أقصى حد. في إحدى المناسبات عندما صنع معجزة، ولم يستطيعوا أن ينكروا قوته، أو يدحضوا ادعاءاته، أو يدحضوا حكمته، أو يتحملوا شهرته، اهتاجوا بأقوى تهمة يمكن أن يأتوا بها.

التهمة (متى ١٢: ٢٢-٢٤)

صنع يسوع معجزة لا يمكن إنكارها. إنسان يسكنه شيطان لا يسمع ولا يتكلم تم شفاءه. فدهش الناس. قد رأوا بوضوح ما يتضمنه سؤالهم: « ألعل هذا هو ابن داود؟ » (متى ١٢: ٢٢ و٢٣). من يقدر أن يصنع مثل هذه المعجزة العجيبة غير المسيا؟ كان الفريسيون مجبورين بسبب عدم إيمانهم أن يفسروا هذا بطريقة أخرى، إذ قالوا: « هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين » (متى ١٢: ٢٤). « بعلزبول » هو اسم آخر لإبليس. وعندما لم يستطع الفريسيون أن ينكروا معجزة يسوع، قرروا أن يهاجموا طبيعة مصدرها، قائلين ان تلك لم تتم بقوة الله بل بقوة الشيطان.

إجابة يسوع (متى ١٢: ٢٥-٢٩)

قدم يسوع ثلاثة حجج ضد تهمة الفريسيين:

١. لم تكن منطقية (١٢: ٢٥ و٢٦). ليس في هذا أي معنى أن تؤمن بان إبليس يعمل لطرد أحدى الأرواح التابعة له. لماذا يعمل ضد نفسه بهذه الطريقة الحمقاء؟ في مثل هذه الحالة يخلق له « بيت منقسم على ذاته »، بسقوط مضمون.

٢. تتناقض نفسها (١٢: ٢٧ و٢٨). كان « طرد الأرواح الشريرة » ممارسة شائعة بين اليهود في أيام يسوع. على سبيل المثال، يوجد في أعمال ١٩: ١١-٢٠ حدث « أولاد سيكاوا السبعة » الذين حاولوا دون جدوى ان يطردوا روح شرير قائلين: « نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس ». هكذا أيضاً سجل يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول، استخدام التعويذة، وحلقات السحر، والجذور، إلخ؛ في شعائر طرد الأرواح الشريرة. الجدير بالملاحظة ان يسوع لم يثبت ولم ينهي قدرة هؤلاء الذين يحترفون طرد الأرواح الشريرة، لان ذلك لا علاقة له بأغراضه، رغم اننا نهتم به. النقطة الإساسية هي ان اليهود كانوا يؤمنون بقوة هؤلاء الناس، وإذا كان مصدر قوتهم هو الله، لماذا لم يطرد يسوع الشياطين بالقوة نفسها؟ الحقيقة هي ان مقدرة يسوع لطرد الشياطين كانت علامة قوية لوجود ملكوت الله بينهم (متى١٢: ٢٨).

٣. لم تكن واقعية (١٢: ٢٩). «أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً؛ وحينئذ ينهب بيته؟» طرد الشياطين يمثل غزو عالم الشيطان ويمكن ان يحدث هذا فقط إذا تغلب عليه أحد. تعلن معجزات يسوع انه كان الشخص الذي يمكن ان يدخل «بيت شيطان» وينهب أمتعته.

بهذه الحجج الثلاث دحض يسوع تماماً تهمة الإفتراء ضده.

موقف (متى ١٢: ٣٠-٣٧)

لم يكتفي يسوع بترك منتقضوه مغلوبين على أمرهم لأنه يهتم بنفوسهم. لم يرضي باسكاتهم؛ بل أراد أن يخلصهم. أعطى يسوع إنذاراً: «من ليس معي، فهو عليّ؛ ومن لا يجمع معي، فهو يفرق». لا بد لكل شخص ان يختار إما ان يكون مع يسوع أو ضده، والأبدية معلقة على كف الميزان. انه لن يسمح بأي محايدة؛ يجب على الناس إما ان يقبلوا الحق أم يرفضونه.

كان ذلك الإنذار تمهيداً فقط لما تبع، لأن يسوع أضاف إنذار الذي كان مثبطاً حقاً في مضمونه: لن يغفر لبعض الناس خطاياهم أبداً. توجد نقطة «اللا عودة» التي من بعدها تكون المغفرة مستحيلة:

> «لذلك أقول لكم: كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح القدس، فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان، يغفر له. وأما من قال على الروح القدس، فلن يغفر له، لا في هذا العالم، ولا في الآتي» (متى ١٢: ٣١ و٣٢).

من الذين لن يُغْفَر لهم؟ قال يسوع انهم الذين يجدفون على الروح القدس أو يقولون كلمة ضده. التجديف على يسوع يغفر، ولكن لن تكون هناك مغفرة عند التجديف على الروح القدس. من المهم للغاية أن نفهم ما هي هذه الخطية وما ليست. أولاً: انها ليست عمل مرة واحدة لن تغفر. جادل البعض ان «الخطية المميتة» مثل القتل، والزنى، إلخ. لا يمكن ان تغفر، ولكن الكتاب المقدس يعلن ان ذلك غير صحيح. نعمة الله غير محدودة بطبيعة خطايانا، والقول بانه يمكننا أن نرتكب خطية لا يستطيع الله ان يغفرها هو بمثابة اننا ننسب الكثير لأنفسنا مما نسبه له.[1] هكذا أيضاً فإن التجديف على الروح ليس كلمات معينة ينطق بها الشخص التي لن تغفر. انه صحيح ان الكلمات تخرج من القلب (أنظر متى ١٢: ٣٣). ولكن الكلمات ذاتها لا تديننا. التجديف على الروح هو سلوك، رفض الحق الواضح. يساعد إنجيل مرقس ٣: ٢٨-٣٠ في توضيح هذا:

> «الحق أقول لكم: إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها. ولكن من جدف على الروح القدس، فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية. لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً».

تتضمن خطيتهم على انهم نسبوا قوة الروح القدس إلى إبليس. كان هذا رفضاً لشهادة الروح ليسوع، لأن دور الروح هو أن يبكتنا بحقيقة يسوع:

> «ومتى جاء ذاك، يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة: أما على الخطية، فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر، فلأني ذاهب إلى أبي ولا يروننني أيضاً؛ وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دين» (يوحنا ١٦: ٨-١١).

التجديف على الروح ليس له مغفرة، ليس بسبب ان الله لا يشاء ان يغفره، بل لانه إذا رفضنا شهادة الروح، لا يبقى هناك شيء آخر

---

[1] أنظر على سبيل المثال، كورنثوس الأولى ٦: ٩-١١: «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلوا: لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم، بل تقدستم، تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا». وأيضاً رومية ٣: ٢٣ و٢٤: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمة، بالفداء الذي بيسوع المسيح».

يعود بنا إلى المسيح – وبدونه، لا توجد مغفرة. قال لينسكي:

> كل الخطايا والتجديفات الأخرى لن تغفر طبعاً إلا عند التوبة، أي تكون الندامة والإيمان مشهود بهما. لهذا فإن التجديف على الروح لن يغفر إلى الأبد لأنه لا تكون هناك توبة إلى الأبد... يقوم الروح بعمل معين الذي ينتج التوبة؛ إذن التجديف عليه يؤدي إلى حالة تمنعه وعمله إلى الأبد.

بل وأكثر من ذلك، يوجد شيء غير صحيح على الاطلاق عن رفض الحقيقة الواضحة. يكون لمثل هذا الرفض أثر الغلاظة، وإذا استمرينا فيه، تكون التوبة مستحيلة.

> ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً الجاعلين المُرّ حُلواً والحُلو مُرّاً! (إشعياء ٥: ٢٠).

> «وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحبّ الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة» (يوحنا ٣: ١٩).

يمكننا أن نتمادى

الكلمات التي وجهها يسوع إلى الفريسيين هي كلمات توجيهية وواقعية لجميعنا: يمكن للناس أن يتمادوا في رفض يسوع.

قد اعتدنا التفكير بانه يمكن للشخص ان يرجع إلى الله متى ما يشاء. هذا صحيح، ولكنه يمكن ان يتمادى في رفض يسوع بحيث يصبح غير قادراً على الرجوع! يمكن للإنسان ان يتمادى في عدم الإيمان برفضه المتكرر للإنجيل، وبالقول: «ليس هذا الوقت المناسب لقبول الإنجيل». يمكن أن يكون مثل فيلكس، الذي كما نعرف لم يقل أبداً: «هذ هو الوقت المناسب لقبول الإنجيل» (أعمال ٢٤: ٢٤–٢٧). يمكن للإنسان أن يتمادى في رفض التوبة عن الخطية، حتى بعد ان يصير مسيحياً. عبرانيين ٢: ١–٣ و٦: ٤ تحذر المسيحي أن لا يسمح للخلاص أن يضيع منه بل ان يكون مستعد دائماً للرجوع إلى الله في توبة والاعتماد على دم يسوع ما المأساة ان يذوق الشخص طيبة «هذا الخلاص العظيم جداً» ثم يغلظ في حالة عدم التوبة!

هناك سؤال عادة عند الحديث عن التجديف على الروح، وهو: «كيف أعرف ما إذا كنت قد تماديت؟» إذا كنت تهتم بإخلاص عن هذا، فهذا علامة جيدة بان قلبك لم يغلظ جداً. ولكن هذا لا يدل على انك لا تحتاج إلى عمل شيء عاجل! التأخير المستمر في اتباع المسيح قد يكون مميتاً! انك لن تعرف تماماً انك قد تأخرت جداً باتباع يسوع حتى يكون قد تم ذلك. قد تقنع نفسك بانه يمكنك ان ترجع إلى يسوع في أي وقت. مدمنو الخمر، ومتعاطو المخدرات، والمدخنون عادة ما يقولون في أنفسهم: «يمكنني أن أتخلى عن هذا في أي وقت أريد». ولكنهم لا يعرفون ما إذا كان باستطاعهم ان يفعلوا ذلك أم لا إلا إذا حاولوا التخلي عنه. كلما تأخرت في تكريس نفسك ليسوع، كلما زادت الخطورة انك لن تفعل ذلك أبداً. إن لا تفعل ذلك أم لا تستطيع، فالنتيجة واحدة!

الخلاصة

بعد كل ما عمله يسوع وقاله، ظل لبعض الكتبة والفريسيين الجراءة ليقولوا: «يا معلم، نريد أن نرى منك آية» (متى ١٢: ٣٨) صاحوا: «أعطينا إثبات!»، ولكن يسوع قال: «كلا، خذ ما قد أُعْطِيَ لكم، إن لم يكن الوقت قد فات عليكم، ذاكَ يكفي». لا نحتاج ان نرى أو نسمع شيء إضافي حالما سمعنا محبة الله معلنة في صليب المسيح. إن لا يخترق ذلك قلوبنا الغليظة، فلا شيء يخترقها.

تطبيقات في الحياة

ضيقات

« وعد يسوع تلاميذه بثلاثة أشياء هي: ان يكونوا بلا خوف، يفرحون جداً، يواجهون ضيقات ».

بقلم/ و. راسل مالتبي

إنسان

« هناك كمبيوتر جديد كالإنسان بحيث إذا أخطأ، يلقي اللوم على آلة أخرى»

بقلم/ ميكي فريمان

مشاكلنا

ليست المقبرة مكان مخيف ورهيب. مهما كانت مشاكلنا، انها تبدو صغرة عند عندما نتجول عبر المقبرة. هذا مكان يذكر فيه الشخص مرة أخرى ما الذي له أهمية وما لا قيمة له البتة.

أول قانون

« أول قانون الصلاة هو: لا تكذب على الله ».

بقلم/ لوثر

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧